الكتاب: عثمان بن مظعون
المؤلف: فارس تبريزيان حسون
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة:
الناشر:
ردمك:
ملاحظات:

عثمان بن مظعون
تأليف
فارس تبريزيان الحسون

المقدمة:
إن الذي حرضني على انتخاب هذا الموضوع والكتابة عنه جهات عديدة، أهمها شبهة وجهت – ولا تزال توجه – إلى الشيعة: بأنهم لا يحترمون صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويقعون فيهم سبا وطعنا. وهذه الشبهة لا أساس لها من الصحة، فإن الشيعة تضع وافر احترامها في صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعظمهم،
وتقتدي بهم، وتجعلهم منارا تستنير به، أولئك الذين لم يرتدوا ولم يبدلوا ولم يبدعوا في الدين وبقوا على منهج النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
فالشيعة تجري قواعد الجرح والتعديل على الجميع حتى الصحابة، فمن كان منهم على دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومات وهو على يقين من أمره، ولم يشك في دينه، فتجعله في أعلى القمم، وتقتدي به، ومن أبدع وشك في نبيه ودينه وبدل وغير، فالشيعة وكل حر جعل العقل إمامه يرفضه وينبذه ولا يقتدي به ، لأنه إذا اقتدى به اقتدى ببدعته وضلاله وشكه.
وأما ما روي من أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، واحفظوني في أصحابي، ولا تسبوا أصحابي. و... فهي أحاديث ضعيفة السند، غير قابلة للاعتماد عليها، ومع فرض صحة سندها، فإنها محمولة على الأصحاب الذين بقوا على الدين، والتزموا بشرائط الصحبة، لا أولئك الذين بدلوا وغيروا وأبدعوا...، وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمر أمته باتباع من أبدع وغير، وشك في دينه، لمجرد أنه صحابي.
والقرآن والحديث شاهدان على هذا المطلب، وهو ليس كل

صحابي وكل من له صحبة مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يجب الاقتداء به واحترامه:
قال تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) (١)
وقال تعالى: (.. ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) (٢).
وقال تعالى: (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون * ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا

---

(١) الفتح ٤٨: ١٠.
(٢) التوبة ٩: ١٠١.

يفقهون) (١).
إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، الدالة على أن في الأصحاب منافقين وغير مؤمنين بالله ولا برسوله.
وأما الأحاديث فكثيرة جدا، منها:
قوله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة حجة الوداع: فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض (٢).
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أنا فرطكم على الحوض، ليرفعن إلي رجال منكم، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي ربي أصحابي! يقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك (٣).
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إني أيها الناس فرطكم على الحوض، فإذا جئت قام رجال، فقال هذا: يا رسول الله أنا فلان، وقال هذا: يا رسول الله أنا فلان، وقال هذا: يا رسول الله أنا فلان، فأقول: قد

---

(١) المنافقون ٦٣: ١ - ٣.
(٢) صحيح البخاري، ٩: ٩١، كتاب الفتن، وذكر أحاديث كثيرة بهذا المعنى.
(٣) صحيح البخاري، ٩: ٨٧، كتاب الفتن، وذكر أحاديث كثيرة بهذا المعنى.

عرفتكم، ولكنكم أحدثتم بعدي ورجعتم القهقرى (١).
وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي !!! (٢)
فالشيعة تقتدي بالصحابة الصلحاء المتقين، الذين آمنوا بالله ورسوله وماتوا وهم على يقين مما هم عليه، كعثمان بن مظعون الذي عقدنا لأجله هذه الرسالة الوجيزة، حتى

---

(١) المستدرك، ٤: ٧٤ - ٧٥، وقال بعد ذكره للحديث: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٢) الموطأ، ٢: ٤٦٢، كتاب الجهاد، الحديث ٣٢.

نتعرف على جوانب من حياته، ونجعلها قدوة نقتدي بها.
فإن الشيعة مطبقة على عدالته ووثاقته، وجعله في أعلى مرتبة الصالحين والمتقين، ومن الذين أبلوا بلاء حسنا في صدر الإسلام، وجاهدوا بكل ما لديهم من قوة لأجل إعلاء كلمة الإسلام، حتى قال الشيخ المامقاني: فالرجل فوق مرتبة الوثاقة والعدالة (١).
وحاولت في هذه الرسالة أن أعتمد على مصادر الفريقين، ليخرج البحث متكاملا.
اسمه ونسبه وصفته:
عثمان بن مظعون - بالظاء المعجمة - بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب، الجمحي القرشي، ويكنى أبا السائب (٢).
وكان شديد الأدمة، ليس بالقصير ولا بالطويل، كبير اللحية،

---

(١) تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩.
(٢) أسد الغابة، ٣: ٥٩٨ - الإصابة، ٢: ٤٦٤ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - العقد الثمين، ٦: ٤٩ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - معجم الشعراء: ٢٥٤ - المعرفة والتاريخ، ١: ٢٧٢ - التاريخ الكبير، ٦: ٢١٠ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٣ - المنتظم، ٣: ١٩٠.

عريضها (١).
وقيل: كان عثمان بن مظعون أخا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة (٢)
ولادته:
ولد في عصر ملؤه الجهل وانحطاط القيم الإنسانية، في عصر كان يسوده الظلم والجور، وعدم مراعاة حقوق الإنسان، لكنه - رضوان الله عليه - لم ينخرط في سلك أهل عصره، بل جعل عقله قائده وراشده، وسلك في حياته

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١: ١٦٠ - الطبقات، ٣: ٤٠٠.
(٢) تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩، نقلا عن المولى الوحيد.

مسلك العقلاء والحكماء، حتى قيل: إنه كان من حكماء العرب في الجاهلية (١).

تحريمه الخمر في الجاهلية:

ومما يدل على حكمته قبل الإسلام، وسمو عقله، ما اتفق عليه أصحاب السير والتاريخ من أنه حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال:

لا أشرب شرابا يذهب عقلي، ويضحك بي من هو أدنى مني، ويحملني على أن أنكح كريمتي، أو: ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد.

وقيل: إنه لما حرمت الخمر، أتي وهو بالعوالي، فقيل له: يا عثمان قد حرمت الخمر، فقال: تبا لها، قد كان بصري فيها ثاقبا (٢).

وتنظر البعض في ذيل الكلام، وهو: وقيل إنه لما حرمت الخمر أتي وهو بالعوالي...، وذكروا وجه النظر بأن آية التحريم نزلت بعد وفاة عثمان.

---

(١) الأعلام، ٤: ٢١٤.

(٢) أسد الغابة، ٣: ٥٩٩ - العقد الثمين، ٦: ٤٩ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٥ - الطبقات، ٣: ٣٩٣ - ٣٩٤ - غربال الزمان: ١٣ - شذرات الذهب، ١: ٩ - الإستيعاب، ٣ : ١٠٥٤ - المنتظم، ٣: ١٩٠.

وأقول: عند أكثر أهل السنة أن الآية الثالثة في تحريم الخمر تدل على التحريم، والآية الأولى والثانية لا يستفاد منهما التحريم، وعند الشيعة أن الآية الأولى تدل على التحريم، والثانية والثالثة مؤكدتان للحكم، فلعل القول بأنه لما حرمت الخمر قيل لعثمان: يا عثمان قد حرمت الخمر فقال:...، ناظر إلى الآية الأولى، والله العالم.

ومع اتفاق كل المصادر على أن عثمان بن مظعون حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، فقد أخرج ابن المنذر، عن سعيد ابن جبير قال: لما نزلت: (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس...) شربها قوم لقوله: (منافع للناس)، وتركها قوم لقوله: (إثم كبير)،

منهم: عثمان بن مظعون... وهذا افتراء صريح على هذا الصحابي الجليل، فإنه متى شربها حتى تركها (١)؟.
وهذا - أيضا - يدل على أن أول آية في الخمر - وهي: (يسألونك عن الخمر والميسر...) - نزلت في حياة عثمان، وهي دالة على التحريم في نظر الشيعة.
التسمية بعثمان:
ولسمو مرتبة عثمان بن مظعون وقربه من الله - تعالى - ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ومكانته العالية في قلوب المؤمنين، سمى الكثير من الأولياء والصلحاء أولادهم ب (عثمان)، لشدة تعلقهم بعثمان بن مظعون ومحبتهم له وإحياء لذكراه .
ذكر الثقفي في تاريخه، عن هبيرة بن مريم، قال: كنا جلوسا عند علي عليه السلام، فدعا ابنه عثمان، فقال له: يا عثمان، ثم قال: إني لم اسمه باسم عثمان ...، إنما سميته باسم عثمان

---

(١) راجع: الغدير، ٦: ٢٥٣.

بن مظعون (١).
وفي زيارة الناحية المقدسة: السلام على عثمان ابن أمير المؤمنين سمي عثمان بن مظعون (٢).
وروي - أيضا - عن علي عليه السلام أنه قال: إنما سميته باسم أخي عثمان بن مظعون (٣).
أسرته:
أمه: سخيلة بنت العنبس بن وهبان - أهبان - بن وهب بن حذافة بن جمح.
وإخوته: عبد الله بن مظعون، توفي سنة ٣٠ ه، وقدامة بن مظعون، مات سنة ٣٦ ه.
وأولاده: السائب، وعبد الرحمن، أمهما خولة بنت حكيم.

---

(١) تقريب المعارف: ٥٢، نقلا عن تاريخ الثقفي.
(٢) البحار، ١٠١: ٢٧٠، نقلا عن الإقبال ومزار المفيد والسيد.
(٣) مقاتل الطالبيين: ٥٨ - وعنه في البحار، ٤٥: ٣٨.

وزوجته: خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة الأوقص السلمية، ويقال لها: خويلة.
وهي التي قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة خديجة: يا رسول الله، ألا تتزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرا، وإن شئت ثيبا، قال: فمن البكر؟ قالت: بنت أبي بكر، قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول... قال: فاذهبي فاذكريهما علي، فذهبت إلى أبويهما وخطبتهما، فقبلا وتزوجهما (١).
وروت خولة عدة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢) لأن.
وذكر أنها إحدى خالات النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣).
إسلامه:
وأسلم عثمان بن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلا، انطلق هو وجماعة حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الطبقات، ٣: ٣٩٣ و ٤٠٠ - ٤٠٢ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - أسد الغابة، ٣: ٥٩٨ - المنتقى في مولود المصطفى للكازروني: ٦٥ - وعنه في البحار، ١٩: ٢٣ - مسند أحمد، ٦: ٢١٠ - ٢١١.
(٢) مسند أحمد، ٦: ٤٠٩ - ٤١٠.
(٣) مسند أحمد، ٦: ٤٠٩.

وآله وسلم، فعرض عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه، فأسلموا جميعا، وذلك قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها (١).
وروي أن عثمان بن مظعون قال: نزلت آية: (إن الله يأمر بالعدل والاحسان...) على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا عنده، وذكر أنه شاهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غير حالته الطبيعية، فلما سأله: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما رأيتك فعلت الذي

---

(١) أسد الغابة، ٣: ٥٩٨ - الإصابة، ٢: ٤٦٤ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٥ - الطبقات، ٣: ٣٩٣ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - العقد الثمين، ٦: ٤٩.

فعلت اليوم، ما حالك؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ولقد رأيته؟ فأجابه عثمان: نعم، قال رسول الله: ذاك جبرئيل لم يكن لي همة غيره، ثم تلا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أنزل عليه.

قال عثمان: فقمت من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع جبا بالذي رأيت، فأتيت أبا طالب وقرأت ما أوحي إلى النبي، فعجب أبو طالب، وقال: يا آل غالب اتبعوه ترشدوا وتفلحوا، فوالله ما يدعو إلا إلى مكارم الأخلاق...

وروي أيضا: أن عثمان قال: كان أول إسلامي حبا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم تحقق ذلك اليوم لما شاهدت الوحي إليه، واستقر الإيمان في قلبي (١).

الآيات النازلة في عثمان:

---

(١) مسند أحمد، ١: ٣١٨ - سعد السعود: ١٢٢ - ١٣٣ - وعنه في البحار، ١٨: ٢٦٨ - ٢٧٠ - ونقله في البحار أيضا، ٢٢: ١١٢ عن قصص الأنبياء - المنتظم، ٣: ١٩٠.

١ - (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) (١).
قوله تعالى: (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) نزلت في علي عليه السلام وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر وأصحاب لهم رضي الله عنهم (٢).
٢ - (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم...) (٣).
نزلت في عدة من الصحابة،

---

(١) البقرة، ٢: ٤٥ - ٤٦.
(٢) تفسير الحبري: ٢٣٩ - شواهد التنزيل: ١١٥ - المناقب لابن شهرآشوب، ٢: ٩، وقال فيه: رواه الفلكي في إبانة ما في التنزيل عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
(٣) المائدة، ٥: ٨٧.

منهم: عثمان بن مظعون وعمار بن ياسر وسلمان، حرموا على أنفسهم الشهوات وهموا بالإخصاء (١).

وروي: أن عليا عليه السلام وعثمان بن مظعون ونفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعاقدوا أن يصوموا النهار، ويقوموا الليل، ولا يأتوا النساء، ولا يأكلوا اللحم، فبلغ ذلك رسول الله، فأنزل الله تعالى:... (٢) وروي عن أبي

عبد الله عليه السلام: نزلت في علي عليه السلام وبلال وعثمان بن مظعون، فأما علي عليه السلام فإنه حلف أن لا ينام بالليل أبدا إلا ما شاء الله، وأما بلال فإنه حلف أن لا يفطر بالنهار أبدا، وأما عثمان بن مظعون فإنه حلف أن لا ينكح أبدا...

ولما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم نادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام

---

(١) شواهد التنزيل: ٢٣٩ و ٢٥٩ - تفسير فرات الكوفي: ١٣١ - ١٣٢ - تفسير الحبري: ٢٦٤.

(٢) شواهد التنزيل: ٢٦٠ - كشف الغمة، ١: ٣١٩.

يحرمون على أنفسهم الطيبات، ألا أني أنام بالليل وأنكح وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنتي فليس مني، فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله فقد حلفنا على ذلك ، فأنزل الله: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) (١). ورويت أحاديث كثيرة بهذا المعنى (٢)، نكتفي

---

(١) المائدة، ٥: ٨٩ - وانظر المناقب لابن شهرآشوب، ٢: ١٠٠ - ١٠١ - تفسير علي بن إبراهيم القمي: ١٦٦ - وعنه في البحار، ٧٠: ١١٦ - ١١٧ - تفسير مجمع البيان، ٣: ٢٣٦ - وعنه في البحار، ٦٥: ١١٣ - وراجع البحار أيضا، ٦٥: ١١٢ و ١١٣ و ١١٤.

(٢) راجع: تفسير البرهان، ١: ٤٩٤ - والدر المنثور، ٢: ٣٠١ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ - وتفسير الطبري، ٧: ٧ و ٨ و ٩ - ومسند أحمد، ٦: ١٠٦ و ٢٢٦.

منها بهذا المقدار.
٣ - (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) (١).
نزلت في عدة منهم عثمان بن مظعون، وكان عثمان قد هم بطلاق زوجته وأن يختصي ويحرم اللحم والطيب، فرد عليه النبي وأنزل في ذلك:... (٢).
٤ - (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) (٣).
قال الشيخ الطبرسي:... وقيل إن الأبكم أبي بن خلف، ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون، عن عطاء (٤).

---

(١) المائدة، ٥: ٩٣.
(٢) الإستيعاب، ٣: ١٠٥٤ - العقد الثمين، ٦: ٤٩.
(٣) النحل، ١٦: ٧٦.
(٤) مجمع البيان، ٦: ٥٧٨، وعنه في البحار.

وصف أمير المؤمنين لعثمان:
قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجا من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتا، فإن قال بد القائلين ونقع غليل السائلين، وكان ضعيفا مستضعفا، فإن جاء الجد فهو ليث غاب وصل واد، لا يدلي بحجة حتى يأتي قاضيا، وكان لا يلوم أحدا على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره، وكان لا يشكو وجعا إلا عند برئه، وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل، وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، وكان

على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم، وكان إذا بدهه أمران نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه. فعليكم بهذه الأخلاق فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير (١).

والمشار إليه ب (كان لي فيما مضى أخ في الله) عثمان بن مظعون على أحد الأقوال، وقيل: أبو ذر، وقيل: غيرهما (٢).

ويدل على أن المراد بالأخ هنا عثمان بن مظعون ما ورد من وصف أمير المؤمنين لعثمان بالأخ، كقوله عليه السلام في وجه تسمية ولده بعثمان: إنما سميته باسم أخي عثمان بن مظعون (٣).

وكان عثمان بن مظعون من الملازمين لأمير المؤمنين عليه السلام، حتى نشاهد أن أكثر الآيات النازلة في حق عثمان هي في حق علي عليه السلام وسائر أصحابه.

ولو كان من المقدر أن يبقى عثمان بعد وفاة رسول الله صلى الله

---

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، ٤: ٦٩ - ٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، ٥: ٣٩٠.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٥٨ - وعنه في البحار، ٤٥: ٣٨.

عليه وآله وسلم لكنت تراه يقف موقف سلمان وأبي ذر وعمار والمقداد في قبال الأحداث، ولشاهدتهم حواري أمير المؤمنين عليه السلام.

تعذيب قريش لعثمان وهجرته وزهده:

وبعد أن أسلم عثمان (قدس الله روحه) وأعلن إسلامه، واجهته قريش بالأذى والسطوة، كما هو ديدنها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه. وكانت بنو جمح تؤذي عثمان وتضربه وهو فيهم ذو سطوة وقدر (١).

ولما اشتد أذى المشركين على الذين أسلموا، وفتن منهم من فتن،

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١٣: ٢٦٨.

أذن الله سبحانه لهم بالهجرة الأولى إلى أرض الحبشة، التي كانت متجرا لقريش يجدون فيها رفقا من الرزق وأمانا. فخرجوا متسللين سرا، وأميرهم عثمان بن مظعون، فيسر الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين للتجار، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وخرجت قريش في أثرهم، ولما وصلوا البحر لم يدركوا منهم أحدا.

ومكث عثمان بن مظعون وأصحابه في الحبشة، حتى بلغهم أن قريشا قد أسلمت، فأقبلوا نحو مكة، وما إن اقتربوا منها حتى عرفوا أن قريشا لم تسلم، وأنها ما زالت على عدائها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فثقل عليهم أن يرجعوا، وتخوفوا أن يدخلوا مكة بغير جوار من بعض أهل مكة، فمكثوا مكانهم حتى دخل كل رجل منهم بجوار من بعض أهل مكة، ودخل عثمان بن مظعون مكة بجوار الوليد بن المغيرة.

ولما رأى عثمان ما يلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من الأذى والبلاء، وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة، قال: والله، إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من الأذى والبلاء في الله ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي.

فمضى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، وقد كنت في جوارك، وقد أحببت أن أخرج منه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلي به وأصحابه أسوة.

فقال الوليد: فلعلك يا بن أخي أوذيت أو انتهكت؟

قال عثمان: لا، ولكن أرضى بجوار الله ولا أريد أن استجير بغيره.

قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علي جواري علانية كما أجرتك علانية.

فانطلقا، حتى أتيا المسجد.
فقال لهم الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري، فقال عثمان: قد صدق، قد وجدته وفيا كريم الجوار، ولكني أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره (١).
ومر عثمان بن مظعون بمجلس من قريش، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن كلاب القيسي ينشدهم: " ألا كل شئ ما خلا الله باطل ".
فقال عثمان: صدقت.
فقال لبيد: " وكل نعيم لا محالة زائل ".
فقال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول أبدا.
فقال لبيد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟
فقال رجل: إن هذا سفيه من سفهائنا قد فارق ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله.
فرد عليه عثمان، فقام إليه ذلك

---

(١) معجم الشعراء: ٢٥٤ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٥ - الطبقات، ٣: ٣٩٣ - حلية الأولياء، ١: ١٠٣ - ١٠٥ - الإصابة، ٢: ٤٦٤ - أسد الغابة، ٣: ٥٩٨ - زاد المعاد، ٣: ٢٣ - ٢٦ - تفسير مجمع البيان، ٣ : ٢٣٣ - ٢٣٤ وعنه في البحار.

الرجل، فلطم عينه فخضرها.
فقال الوليد بن المغيرة لعثمان: إن كانت عينك لغنية عما أصابها، لم رددت جواري؟
فقال عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة لمثل ما أصاب أختها في الله، لا حاجة لي في جوارك.
وفي بعض المصادر:
فقال الوليد: هل لك في جواري؟
فقال عثمان: لا أرب لي في جوار أحد الا في جوار الله (١).
ثم قال عثمان بن مظعون فيما أصيب من عينه:

---

(١) راجع: خزانة الأدب، ٢: ٢٥٥ - ٢٥٦ - الإصابة، ٢: ٤٦٤ - غربال الزمان: ١٣ - شذرات الذهب، ١: ١٠ - حلية الأولياء، ١: ١٠٣ - ١٠٤ - أسد الغابة، ٣: ٥٩٨.

فإن تك عيني في رضا الرب نالها * يدا ملحد في الدين ليس بمهتد
فقد عوض الرحمن منها ثوابه ومن * يرضه الرحمن يا قوم يسعد
فإني وإن قلتم غوي مضلل * سفيه على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله والحق ديننا * على رغم من يبغي علينا ويعتدي (١)

وقال أبو طالب رضي الله عنه – وقد غضب لعثمان بن مظعون حين عذبته قريش ونالت منه –
:

أمن تذكر دهر غير مأمون * أصبحت مكتئبا تبكي كمحزون
أمن تذكر أقوام ذوي سفه * يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
ألا ترون – أذل الله جمعكم – * أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
ونمنع الضيم من يبغي مضامتنا * بكل مطرد في الكف مسنون
ومرهقات كأن الملح خالطها * يشفى بها الداء من هام المجانين

---

(١) حلية الأولياء، ١: ١٠٤.

حتى تقر رجال لا حلوم لها * بعد الصعوبة بالإسماح واللين
أو تؤمنوا بكتاب منزل، عجب * على نبي كموسى أو كذي النون (١)
وذكر مثل هذه الأبيات أبو نعيم الاصفهاني، منسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قالها فيما أصاب من عين عثمان بن مظعون:
أمن تذكر دهر غير مأمون * أصبحت مكتئبا تبكي كمحزون
أمن تذكر أقوام ذوي سفه * يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
لا ينتهون عن الفحشاء ما سلموا * والغدر فيهم سبيل غير مأمون
ألا ترون - أقل الله خيرهم - * أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يلطمون ولا يخشون مقلته * طعنا دراكا وضربا غير مأفون

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١٤: ٧٣.

فسوف يجزيهم إن لم يمت عجلا كيلا بكيل جزاء غير مغبون (١) واشتد البلاء من قريش على من قدم من مهاجري الحبشة وغيرهم، وسطت بهم عشائرهم، ولقوا منها تعنيفا شديدا، وصعب عليها ما بلغها عن النجاشي من حسن جواره لهم، فأذن لهم رسول الله بالخروج مرة ثانية إلى أرض الحبشة.

وهل خرج معهم عثمان بن مظعون؟

صرح بهجرته – مرة ثانية – إلى أرض الحبشة ابن سعد بالاعتماد على رواية محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر، والنووي (٢).

وفيه نظر، لأن الذين هاجروا الهجرة الأولى رجعوا إلى مكة قبل الهجرة النبوية ، والذين هاجروا الهجرة الثانية رجعوا عام خيبر، أي بعد وفاة عثمان بن مظعون الذي اشترك في حرب بدر، وهي قبل خيبر. ولعل منشأ الاشتباه تصريح البعض بمهاجرة

---

(١) حلية الأولياء، ١: ١٠٤.
وذكرت الأبيات مع زيادة في الديوان المنسوب لأمير المؤمنين ٧ صفحة ٢٥٦ من المخطوطة.
(٢) الطبقات، ٣: ٣٩٣ – تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٣٦.

عثمان الهجرتين (١)، فحملوه على الأولى والثانية للحبشة، والظاهر أن الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة.
وصرح ابن الأثير الجزري: أن عثمان بن مظعون هاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى مع جماعة من المسلمين، وذكر كيفية رجوعه وما جرى له مع لبيد وقال: ثم هاجر عثمان إلى المدينة وشهد بدرا (٢).
وقال البعض: قد ذكر في هذه الهجرة الثانية جماعة ممن شهد بدرا، فإما أن يكون هذا وهما، وإما أن يكون لهم قدمة أخرى قبل بدر، فتكون لهم ثلاث قد مات: قدمة قبل الهجرة، وقدمة قبل بدر، وقدمة عام

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٥.
(٢) أسد الغابة، ٣: ٥٩٨.

خيبر، ولذلك قال ابن سعد وغيره: إنهم لما سمعوا هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا ومن النساء ثمان نسوة، فمات منهم رجلان بمكة، وحبس بمكة سبعة، وشهد بدرا منهم أربعة وعشرون رجلا (١).

وعلى أي حال، فهجرة عثمان بن مظعون من مكة إلى المدينة أمر مقطوع به ، فقد هاجر هو وأخواه قدامة وعبد الله وابنه السائب إلى المدينة، ونزلوا على عبد الله بن سلمة العجلاني، وقيل: على خذام بن وديعة (٢).

قال الواقدي: آل مظعون ممن أوعب في الخروج إلى الهجرة رجالهم ونساؤهم ، وغلقت بيوتهم بمكة (٣).

وروي عن أم العلاء، قالت: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون معه المدينة في الهجرة، فتشاحت الأنصار فيهم أن

---

(١) زاد المعاد، ٣: ٢٥ - ٢٦.

(٢) سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٨ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الطبقات، ٣: ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٨ - الطبقات، ٣: ٣٩٥ - ٣٩٦.

ينزلوهم في منازلهم، حتى اقترعوا عليهم، فطار لنا عثمان بن مظعون على القرعة ، تعني: وقع في سهمنا (١).
وأما زهده وقناعته بالشئ القليل وتركه الدنيا فيدل عليه: ما روي من أنه دخل يوما المسجد، وعليه نمرة قد تخللت فرقعها بقطعة من فروة، فرق له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورق أصحابه لرقته، فقال: كيف أنتم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه قصعة وترفع أخرى، وسترتم البيوت كما تستر الكعبة؟ قالوا: وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله فأصبنا الرخاء والعيش، قال: فإن ذلك

---

(١) الطبقات، ٣: ٣٩٦ - صحيح البخاري، ٢: ٧١.

لكائن، وأنتم اليوم خير من أولئك (١).

مؤاخاته واشتراكه في بدر:

آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين عثمان بن مظعون وبين أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري (٢).

وشهد عثمان بن مظعون بدرا باتفاق المؤرخين (٣). وأسر حنظلة بن قبيصة بن حذافة على يد عثمان بن مظعون (٤) يلا. وقتل أوس بن المغيرة بن لوذان على يد علي عليه السلام وعثمان بن مظعون (٥).

عثمان والرواية:

كان عثمان بن مظعون من الأوائل الذين أسلموا، ومن الأوائل الذين لبوا نداء ربهم، وتوفي في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بادي الإسلام، ونال درجة عالية بعد وفاته بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه، ولم يرو عن

---

(١) حلية الأولياء، ١: ١٠٥.

(٢) الطبقات، ٣: ٣٩٦ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦.

(٣) أسد الغابة، ٣: ٥٩٨ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الطبقات، ٣: ٣٩٦ - التاريخ الصغير، ١: ٤٦ - المنتظم، ٣: ١٩٠ - ومصادر أخرى كثيرة جدا.

(٤) شرح نهج البلاغة، ١٤: ٢٠٤.

(٥) شرح نهج البلاغة، ١٤: ٢١٢.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا قليلا، وذلك لعدم دركه من زمان الإسلام إلا أوائله.
فيروي عثمان بن مظعون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١) لا، ورواياته عن رسول الله قليلة جدا.
ويروي عن عثمان بن مظعون: عبد الله بن جابر (٢)، وسعد بن مسعود الكناني (الكندي) (٣).

---

(١) ربيع الأبرار، ٢: ٢٦٥ - تهذيب الأحكام، ٤: ١٩٠، الحديث ٥٤١.
(٢) تهذيب الأحكام، ٤: ١٩٠، الحديث ٥٤١.
(٣) تهذيب الأحكام، ٦: ١٢٢، الحديث ٢١٠.

عبادته واجتهاده واعتزاله النساء وحياؤه:
كان عثمان – رضوان الله عليه – من أشد الناس اجتهادا في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل. ووصل به الحد في العبادة أنه ترك وتجنب الشهوات بالمرة، واعتزل النساء (١). حتى روي: أن زوجته دخلت على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرأينها سيئة الهيئة، فقلن لها: ما لك؟ فما في قريش أغنى من بعلك! قالت: ما لنا منه شئ، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم. فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فذكرن ذلك له، فلقيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أمالك بي أسوة؟ قال: بأبي وأمي وما ذاك؟ قال: تصوم النهار وتقوم الليل؟ قال : إني لأفعل، قال: لا تفعل، إن لعينيك عليك حقا، وإن لجسدك حقا، وإن لأهلك حقا، فصل ونم وصم وأفطر.
وفي رواية أخرى: يا عثمان لم

---

(١) الإستيعاب، ٣: ١٠٥٤ – تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ – أسد الغابة، ٣: ٥٩٩ – العقد الثمين، ٦: ٤٩ – المنتظم، ٣: ١٩٠.

يرسلني الله بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحة، أصوم وأصلي وألمس أهلي، فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي، ومن سنتي النكاح.
وفي رواية أخرى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إني آتي النساء وأفطر بالنهار وأنام الليل، فمن رغب عن سنتي فليس مني، وأنزل الله - تعالى -: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) (١).
فأتتهن زوجة عثمان بعد ذلك عطرة كأنها عروس، فقلن لها: مه؟ قالت: أصابنا ما أصاب الناس (٢).

---

(١) المائدة: ٨٧ - ٨٨.
(٢) الطبقات، ٣: ٣٩٤ - ٣٩٥ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٧ - ١٥٨ - حلية الأولياء، ١: ١٠٦ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - مسند أحمد، ٦: ١٠٦ و ٢٢٦ - سنن الدارمي، ٢: ١٧٩، الحديث ٢١٦٩ - تفسير علي بن إبراهيم القمي: ١٦٦ - وعنه في البحار، ٧٠: ١١٦ - ١١٧ - الكافي للكليني، ٢: ٥٦ و ٥٧ - وعنه في البحار، ٢٢: ٢٦٤ - تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩.

وروي: أن عثمان قال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم! لا أحب أن ترى امرأتي عورتي، قال: ولم؟ قال: استحيي من ذلك، قال: إن الله قد جعلها لك لباسا، وجعلك لباسا لها...، فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن ابن مظعون لحيي ستير (١).

الرهبانية والسياحة والتبتل:

خلق الله - سبحانه وتعالى - الإنسان ليكون نواة صالحة، وكائنا عاملا في كل نواحي الحياة الإنسانية، وليس من حكمة خلق الله للإنسان أن يترهب ويعتزل المجتمع، ويعيش لوحده يعبد ربه.

وفي بادي الإسلام كانت فكرة الرهبانية، وترك المجتمع والملذات الدنيوية، تدور في خلد بعض المتدينين، وذلك لشدة تدينهم وحرصهم على العبادة وترك الدنيا.

ومن الأوائل الذين فكروا

---

(١) الطبقات، ٣: ٣٩٤ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٧ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - بحار الأنوار، ٩٣: ٧٣.

بالرهبانية والسياحة عثمان بن مظعون – رضوان الله عليه – فإنه أول ما أقدم عليه من عمل هو: أنه كان يقوم الليل ويصوم النهار، وترك زوجته بالمرة، وبعدها استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الرهبانية والسياحة والتبتل وطلاق زوجته والخصاء، فنهاه عن ذلك ورده عليه (١).

---

(١) أسد الغابة، ٣: ٥٩٩ – الإستيعاب، ٣: ١٥٤ – سير أعلام النبلاء ، ١: ١٥٥ – الإصابة، ٢: ٤٦٤ – الطبقات، ٣: ٣٩٤ – مسند أحمد، ١: ١٧٥ و ١٧٦ و ١٨٣ – صحيح البخاري، ٦: ١١٨ و ١١٩ – سنن ابن ماجة، ١: ٥٩٣، الحديث ١٨٤٨ – صحيح مسلم، ٩: ١٧٦ – ١٧٧ – سنن الترمذي، ٣: ٣٩٤، الحديث ١٠٨٣ – سنن النسائي، ٦: ٥٨ – سنن الدارمي، ٢: ١٧٨، الحديث ٢١٦٧.

فعن ابن شهاب: أن عثمان بن مظعون أراد أن يختصي ويسيح في الأرض، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أليس لك في أسوة حسنة؟ فأنا آتي النساء وآكل اللحم وأصوم وأفطر، إن خصاء أمتي الصيام، وليس من أمتي من خصى أو اختصى (١).

وروي أيضا عن عثمان أنه قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله! أردت أن أسألك عن أشياء، فقال: وما هي يا عثمان؟ قال: قلت : إني أردت أن أترهب، قال: لا تفعل يا عثمان، فإن ترهب أمتي القعود في المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة.

قال: فإني أردت يا رسول الله! أن أختصي، قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا تفعل يا عثمان، فإن اختصاء أمتي الصيام (٢).

وروي أيضا أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن نفسي

---

(١) الطبقات، ٣: ٣٩٤ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٧.

(٢) تهذيب الأحكام، ٤: ١٩٠ - ١٩١، الحديث ٥٤١، وروى المقطع الأول في مشكاة الأنوار: ٢٦٢ - وعنه في البحار، ٨٣: ٣٨٢.

تحدثني بالسياحة وأن ألحق الجبال، قال: يا عثمان لا تفعل، فإن سياحة أمتي الغزو والجهاد (١).
وروي: أنه اتخذ بيتا يتعبد فيه، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ بعضادتي البيت وقال: يا عثمان، إن الله لم يبعثني بالرهبانية – مرتين أو ثلاثا – ، وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة (٢).
وروي عنه – أيضا – أنه قال: يا رسول الله! إني رجل تشق علي العزبة في المغازي، أفتأذن لي في الخصاء؟ قال: لا، ولكن عليك

---

(١) تهذيب الأحكام، ٦: ١٢٢، حديث ٢١٠.
(٢) سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٨ – الطبقات، ٣: ٣٩٥.

بالصوم، فإنه مجفر (محصن) (١).
وروي عنه – أيضا –: أنه هم بطلاق زوجته، وأن يختصي ويحرم اللحم والطيب، فرد عليها لنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنزل في ذلك: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) (٢).
وروي أيضا: أنه توفي ابن لعثمان بن مظعون، فاشتد حزنه عليه، حتى اتخذ داره مسجدا يتعبد فيه، فبلغ ذلك رسول الله، فأتاه، فقال له: يا عثمان، إن الله تبارك وتعالى لم يكتب علينا الرهبانية، إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله، يا عثمان بن مظعون! للجنة ثمانية أبواب، وللنار سبعة أبواب، فما يسرك أن لا تأتي بابا منها إلا وجدت ابنك إلى جنبك آخذا بحجزتك يشفع لك إلى ربك، قال : بلى... (٣)

---

(١) شرح نهج البلاغة، ١٩: ١٣٢ – التاريخ الكبير، ٦: ٢١٠ – الإستيعاب، ٣: ١٠٥٥ – الطبقات، ٣: ٣٩٥ – المعرفة والتاريخ، ١: ٢٧٢ – ٢٧٣.
(٢) المائدة: ٩٣ – وانظر الإستيعاب، ٣: ١٠٥٤ – العقد الثمين، ٦: ٤٩.
(٣) أمالي الصدوق: ٤٠ – وعنه في البحار، ٨: ١٧٠.

شعره:
ولم يكن عثمان من الشعراء المعروفين، لكنه كان قادرا على نظم الشعر، والذي وصل إلينا شئ منه.
وقد مرت منه عدة أبيات في فصل تعذيب قريش لعثمان وهجرته. فمن شعره حينما هاجر إلى أرض الحبشة، وبلغه أن أمية ابن خلف شتمه، فقال:

أتيم بن عمرو الذي فار ضغنه * ومن دونه الشرمان والترك أجمع
أأخرجتني من بطن مكة آمنا * وألحقتني من صرح بيضاء تقدع؟
تريش نبالا لا يؤاتيك ريشها * وتبري نبالا ريشها لك أجمع

فكيف إذا نابتك يوما ملمة * وأسلمك الأوباش ما كنت تجمع؟ (١)

وفاته:

نص كثير من المؤرخين: على أن عثمان بن مظعون أول من مات بالمدينة من المهاجرين (٢).

وأما تاريخ وفاته، فإنه كان بعد أن شهد بدرا، وفي تحديد تاريخ وفاته عدة أقوال:

(أ) في شعبان بعد سنتين ونصف من الهجرة (٣).

(ب) في السنة الثانية من الهجرة (٤).

(ج) بعد اثنين وعشرين شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة (٥)، وهذا يدل على أنه توفي في أواخر سنة اثنتين.

(د) بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة بستة أشهر (٦)، وهذا إنما يكون بعد مقدمه من غزوة بدر، لأنه لم يختلف أحد في

---

(١) معجم الشعراء: ٢٥٤ - ربيع الأبرار، ٢: ٨٦٠.

(٢) الإصابة، ٢: ٢٦٤ - أسد الغابة، ٣: ٥٩٩ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - غربال الزمان: ٣.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٤ وفيه على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة - العقد الثمين، ٦: ٤٩ - الطبقات، ٣: ٣٩٦ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٩.

(٤) الإصابة، ٢: ٤٦٤ - أسد الغابة، ٣: ٥٩٩ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٤ - غربال الزمان: ٣ - العبر، ١: ١٤ - المنتظم، ٣: ١٩١.

(٥) الإستيعاب، ٣: ١٠٥٤ - العقد الثمين، ٦: ٤٩.

(٦) الإستيعاب، ٣: ١٠٥٤.

أنه شهدها.
وذكرت أم العلاء أن عثمان بن مظعون اشتكى عندهم، وقالت: مرضناه، فلما توفي جعلناه في أثوابه. فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأكب عليه يقبله ويقول: رحمك الله يا عثمان، ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك شيئا.
وحديث تبقى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعثمان وهو ميت نقله الكل وبصور مختلفة، فبعض ذكر أنه قبله - بعد الغسل والتكفين - بين عينيه، والآخر ذكر أنه قبله على خده. وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عثمان بن مظعون طويلا، ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون (١). وأما ما روي من أنه لما مات عثمان دخل عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأكب عليه، فرفع رأسه، فرأوا أثر البكاء، ثم جثا الثانية، ثم رفع رأسه، فرأوه يبكي، ثم جثا الثالثة، فرفع رأسه وله شهيق، فعرفوا أنه يبكي، فبكى القوم، فقال: مه هذا من الشيطان، ثم قال: أستغفر الله، أبا السائب لقد خرجت منها ولم تلبس منها بشئ (٢).
فغير صحيح، لأنه فيه جعل البكاء من الشيطان، مع أنه ثبت من طريق الفريقين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكى على ابنه إبراهيم، وفاضت عيناه على بنت بنته، وأنه

---

(١) الكافي، ٣: ١٦١، الحديث ٦ - حلية الأولياء، ١: ١٠٥ - ١٠٦ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - من لا يحضره الفقيه، ١: ٩٨، الحديث ٤٥٣ - زاد المعاد، ١: ١٨٣ و ٥٠٢ - غربال الزمان: ٣ - مجمع الزوائد، ٩: ٣٠٢ - ربيع الأبرار، ٤: ١٨٧ - أسد الغابة، ٣: ٦٠٠ - مسند أحمد، ٦: ٤٣ و ٥٥ - ٥٦ و ٢٠٦ - الطبقات، ٣: ١٩٠ - المنتظم، ٣: ١٩١ - سنن ابن ماجة، ١: ٤٦٨، الحديث ١٤٥٦ - سنن الترمذي، ٣: ٣١٤، الحديث ٩٨٩ - سنن أبي داود، ٣: ٢٠١، الحديث ٣١٦٣ - تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩.
(٢) مجمع الزوائد، ٩: ٣٠٢ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٦ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٥ - حلية الأولياء، ١: ١٠٥.

بكى على عثمان بن مظعون كما ذكرنا قبل قليل وذكرنا مصادره.
ويؤيده أيضا ما روي عن ابن عباس: لما ماتت ابنة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون، فبكت النساء، فجعل عمر بن الخطاب يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله بيده صلى الله عليه وآله وسلم وقال: مهلا يا عمر، ثم قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أبكين، وإياكن ونعيق الشيطان، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه مهما كان من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة، وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان (١).

ومع ما كان عليه عثمان بن مظعون من عظيم الدرجة والسبق إلى الإيمان، فقد سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة تقول:

هنيئا لك أبا السائب الجنة، أو: أذهب عنك أبا السائب! شهادتي عليك لقد أكرمك الله، أو طب أبا السائب! نفسا إنك في الجنة.

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: وما يدريك، أو ما علمك بذلك؟

فقالت: يا رسول الله! أبو السائب، أو كان يا رسول الله! يصوم النهار ويصلي الليل، أو فارسك وصاحبك، أو: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فمن.

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٦ - ١٥٧ - الطبقات، ٣: ٣٩٨ - ٣٩٩ - مجمع الزوائد، ٣: ١٧ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - مسند أحمد، ١: ٢٣٧ - الطبقات، ٣: ١٩٠ - مسند أبي داود الطيالسي: ٣٥١.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والله ما نعلم إلا خيرا ثم قال: حسبك أن تقولي: كان يحب الله - عز وجل - ورسوله، أو أجل ما رأينا إلا خيرا أنا رسول الله والله ما أدري ما يصنع بي، أو أما هو فقد جاءه اليقين. والله، إني لأرجو الخير، وإني لرسول الله، وما أدري ما يفعل بي (١) " -.
واختلفت المصادر في ذكر اسم

---

(١) سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٦ - ١٥٧ و ١٥٩ - ١٦٠ - الطبقات، ٣: ٣٩٨ - ٣٩٩ - مجمع الزوائد، ٣: ١٧ و ٩: ٣٠٢ - الإستيعاب، ٣ : ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - التاريخ الصغير، ١: ٤٦ - ٤٧ - حلية الأولياء، ١: ١٠٤ و ١٠٦ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - أسد الغابة، ٣: ٦٠٠ - الطبقات، ٣: ٣٩٩ - الكافي، ٣: ٢٦٢، حديث ٤٥ - مسند أحمد، ١ : ٢٣٧ و ٦: ٤٣٦ - الطبقات، ٣: ١٩٠ - مسند أبي داود الطيالسي: ٣٥١ - صحيح البخاري، ٢: ٧١ و ٣: ١٦٤.

المرأة التي قالت هذا القول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبعضها ذكرت أنها زوجته أم السائب، وفي بعضها أنها أم العلاء الأنصارية، وفي بعضها أنها أم خارجة بن زيد، وفي بعضها أنها عجوز.

وكذلك اختلفت المصادر في كيفية وقوعها، ففي بعضها أنها قالت هذا القول وراء جنازته، وفي بعضها أنها قالت هذا القول لما وضع في قبره، وفي بعضها لما قبر، وفي بعضها غير هذا.

وعلى كل حال فإن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن نقصا في درجة عثمان بن مظعون، أو تشكيكا فيه، لأنه قرنه بنفسه، ووصفه بصفات المتقين، ولكن كان قوله صلى الله عليه وآله وسلم تعليما لنا، بأن الإنسان مهما كثرت عبادته واتقي لا بد من أن يبقى بين الخوف والرجاء، ولا يجزم بأنه من أهل الجنة ومن عباد الله المقربين، ويدل على

كراهية جزم الإنسان بأنه من أهل الجنة.
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: لما مر بجنازة عثمان بن مظعون: ذهبت ولم تلبس منها بشئ (١).
وروي أنه لما رفع عثمان على السرير قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: طوباك (طوبى لك) يا عثمان، لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها (٢).
وتحدث أم العلاء: بأنها رأت في المنام لعثمان عينا تجري، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: ذلك عمله (٣).
وحظي عثمان بن مظعون بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) الموطأ، ١: ٢٤٢ - الطبقات، ٣: ٣٩٦.
(٢) المنتظم، ٣: ١٩١ - ربيع الأبرار، ٤: ١٨٧ - كنز العمال، ١٣: ٥٢٥.
(٣) أسد الغابة، ٣: ٦٠١ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٩ - ١٦٠ - التاريخ الصغير، ١: ٤٦ - ٤٧ - حلية الأولياء، ١: ١٠٤ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - صحيح البخاري، ٣: ١٦٤ و ٨: ٧٤.

عليه (١) -، وبمشاركته في تشييعه ودفنه، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم قائما على شفير القبر الذي نزل فيه كل من عبد الله بن مظعون، والسائب بن عثمان بن مظعون، ومعمر بن الحارث.

ولما انتهى الدفن، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرجل: هلم تلك الصخرة فاجعلها عند قبر أخي أعرفه بها، أدفن إليه من دفنت من أهلي (أهله)، فقام الرجل فلم يطقها، فاحتملها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى شوهد بياض ساعديه، ووضعها عند قبره، وقال: هذا قبر فرطنا، وكان الحجر بمثابة العلامة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزور قبر عثمان بن مظعون (٢).

واتفق أصحاب السير والتاريخ أن أول من دفن بالبقيع عثمان بن مظعون، إلا نادرا ممن ذكر أن أسعد بن زرارة أول من دفن بالبقيع.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الطبقات، ٣: ٣٩٦ - ٣٩٧ وفيه أنه كبر عليه أربع تكبيرات - سنن ابن ماجة، ١: ٤٨١، حديث ١٥٠٢ وفيه أيضا أنه كبر عليه أربع تكبيرات، ومصادر أخرى كثيرة جدا.

(٢) الطبقات، ٣: ٣٩٩ - ٤٠٠ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٤ و ١٥٥ - العقد الثمين، ٦: ٤٩ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٤ - غربال الزمان: ٣ - أسد الغابة، ٣: ٦٠٠ - الطبقات، ٣: ١٩٠ - دعائم الإسلام، ١: ٢٣٨ - سنن ابن ماجة، ١: ٤٩٨، الحديث ١٥٦١ - سنن الدارمي، ٣: ٢١٢، الحديث ٣٢٠٦.

ولم يكن البقيع قبل دفن عثمان مقبرة، وكان يقال له: بقيع الخبخبة، وكان أكثر نباته الغرقد (١).
وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمر أن يبسط على قبر عثمان بن مظعون ثوب ، وهو أول قبر

---

(١) الإصابة، ٢: ٤٦٤ - أسد الغابة، ٣: ٥٩٩ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٤ و ١٥٥ - معجم الشعراء: ٢٥٤ - العقد الثمين، ٦: ٤٩ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - الطبقات، ٣: ٣٩٧ - المستدرك، ٣: ١٩٠ - المنتقى في مولود المصطفى، الفصل الخامس - وعنه في البحار، ١٩: ١٣٢ - المنتظم، ٣: ١٩١.

بسط عليه ثوب (١).
وروي أيضا أنه صلى الله عليه وآله وسلم رش قبر عثمان بن مظعون بالماء بعد أن سوى عليه التراب (٢).
وقيل: إن أول من تبعه إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحق بسلفنا (بسلفك) الصالح عثمان بن مظعون، ودفن إبراهيم إلى جنب عثمان (٣).
ولما ماتت ابنة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الحقي بسلفنا الخير (الصالح) عثمان بن مظعون وأصحابه (٤).
وكان إذا مات ميت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قدموه على فرطنا، نعم الفرط لأمتي عثمان بن مظعون، فيدفن عند عثمان بن مظعون (٥).
ولما توفي عثمان بن مظعون قالت زوجته:

---

(١) دعائم الإسلام، ١: ٢٣٨ - وعنه في البحار، ٨٢: ٢١.
(٢) دعائم الإسلام، ١: ٢٣٩ - وعنه في البحار، ٨٢: ٢٢.
(٣) الإستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - أسد الغابة، ٣: ٦٠٠ - مجمع الزوائد، ٩: ٣٠٢ - الإصابة، ٢: ٤٦٤ - شذرات الذهب، ١: ٩ - الكافي، ٣: ٢٦٣، الحديث ٤٥ - مسند أحمد، ١: ٢٣٧ - تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩ وفيه: ألحقك الله بخلفك الصالح عثمان بن مظعون.
(٤) أسد الغابة، ٣: ٦٠٠ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٣ - مجمع الزوائد، ٩: ٣٠٢ - سير أعلام النبلاء، ١: ١٥٦ - ١٥٧ و ١٦٠ - تهذيب الأسماء واللغات، ١: ٣٢٦ - الكافي، ٣: ٢٤١، الحديث ١٨ - الطبقات، ٣: ١٩٠ - تنقيح المقال، ٢: ٢٤٩.
(٥) مجمع الزوائد، ٩: ٣٠٢ - الطبقات، ٣: ٣٩٧ - المستدرك، ٣: ١٩٠.

يا عين جودي بدمع غير ممنون * على رزية عثمان بن مظعون
على امرئ بات في رضوان خالقه * طوبى له من فقيد الشخص مدفون
طاب البقيع له سكنى وغرقد * هو أشرقت أرضه من بعد تفتين
وأورث القلب حزنا لا انقطاع له * حتى الممات فما ترقى له شوني (١)

---

(١) الإصابة، ٢: ٤٦٤ وذكر البيت الأول فقط - أسد الغابة، ٣: ٦٠٠ - حلية الأولياء، ١: ١٠٦ - العقد الثمين، ٦: ٥٠ - الإستيعاب، ٣: ١٠٥٦.

المراجع:
١ – القرآن الكريم.
٢ – الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، نشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.
٣ – أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير علي بن محمد الجرزي.
٤ – الإصابة في تمييز الصحابة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت.
٥ – الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩ م.
٦ – أعلام الغدير، مراجعة وتنسيق فاضل الميلاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
٧ – بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٨ – التاريخ الصغير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦ ه.
٩ – التاريخ الكبير، لإسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠ – تفسير الحبري، للحسين بن الحكم بن مسلم الحبري، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت.
١١ – تفسير فرات الكوفي، لأبي القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي ، وزارة الإرشاد، طهران.

١٢ – تقريب المعارف، للشيخ أبي الصلاح الحلبي، نسخة مخطوطة محفوظة في المكتبة العامة لآية الله المرعشي في قم.
١٣ – تنقيح المقال، للشيخ عبد الله المامقاني، نسخة مطبوعة على الحجر.
١٤ – تهذيب الأحكام، للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران.
١٥ – تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٦ – حلية الأولياء، لأحمد بن عبد الله الإصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٧ – خزانة الأدب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، مكتبة الخانجي، مصر .
١٨ – الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام، نسخة خطية بخط ياقوت المستعصمي.
١٩ – ربيع الأبرار، لمحمد بن عمر الزمخشري، منشورات الشريف الرضي قم ١٤١٠ ه.
٢٠ – رجال حول الرسول، لخالد محمد خالد، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢١ – زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، مكتبة المنار، الكويت ١٤١٢ ه.
٢٢ – سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٣ – سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الفكر ، بيروت.
٢٤ – سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، دار إحياء التراث

العربي، بيروت.
٢٥ – سنن الدارمي، للحافظ عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٦ – سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت.
٢٧ – سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت .
٢٨ – شذرات الذهب، لعبد الحي بن العماد الحنبلي، مكتبة القدسي، مصر.
٢٩ – شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية .
٣٠ – شرح نهج البلاغة، لميثم بن علي بن ميثم البحراني ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ ه.
٣١ – شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، للحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، وزارة الإرشاد، طهران.
٣٢ – صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت.
٣٣ – صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٤ – الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت ودار صادر ١٣٧٧ ه.
٣٥ – العبر في خبر من غبر، للحافظ الذهبي، معهد المخطوطات، الكويت ١٩٦٠ م.
٣٦ – العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لمحمد بن أحمد الحسني الفاسي، طبع القاهرة ١٣٨٦ ه.
٣٧ – الغدير في الكتاب والسنة والأدب، للعلامة عبد الحسين الأميني، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٣٨ – غربال الزمان في وفيات الأعيان، ليحيى بن أبي بكر العامري اليماني، دار الخير ١٤٠٥ ه.

٣٩ – فهارس بحار الأنوار، مؤسسة البلاغ بيروت ١٤١٢ ه.
٤٠ – فهارس شرح نهج البلاغة، وضعها أسد الله اسماعيليان، مكتبة اسماعيليان، قم.
٤١ – الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٤٢ – كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار الكتاب الإسلامي، حلب .
٤٣ – مجمع البيان في تفسير القرآن، للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المعرفة، بيروت.
٤٤ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب، بيروت.
٤٥ – المستدرك على الصحيحين، للحافظ أبي عبد الله الحاكم، دار المعرفة ، بيروت.
٤٦ – مسند أبي داود الطيالسي، للحافظ سليمان بن داود بن الجارود، دار المعرفة، بيروت.
٤٧ – مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
٤٨ – معجم رجال الحديث، للسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، دار الزهراء، بيروت ١٤٠٩ ه.
٤٩ – معجم الشعراء، لمحمد بن عمران المرزباني، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٠ – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، دار الدعوة، استانبول ١٩٨٨ م.
٥١ – المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان البسوي، مطبعة الإرشاد، بغداد.
٥٢ – المناقب، لمحمد بن علي بن شهرآشوب، انتشارات علامة، قم.
٥٣ – المنتظم، لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية،

بيروت.
٥٤ – من لا يحضره الفقيه، للشيخ محمد بن علي الصدوق، دار الكتب الإسلامية، طهران.
٥٥ – الموطأ، لمالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٦ – نقد الرجال، للسيد مصطفى الحسيني التفريشي، انتشارات الرسول المصطفى، قم.
٥٧ – نهج البلاغة، للشريف الرضي، مع تعليقات محمد عبدة، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
وراجع أيضا من مصادر ترجمته مما لم ننقل عنها:
١ – صفة الصفوة.
٢ – الشعر والشعراء.
٣ – المحبر.
٤ – التحفة اللطيفة.
٥ – تاريخ الخميس.
٦ – طبقات خليفة.
٧ – تاريخ خليفة.
٨ – سيرة ابن هشام.
٩ – نسب قريش.
١٠ – الكامل في التاريخ.
١١ – تاريخ الطبري.
١٢ – تفسير الطبري.
١٣ – تفسير ابن كثير.
١٤ – سنن البيهقي.
١٥ – ديوان أبي طالب.
١٦ – مرآة العقول.
١٧ – التعليقة للوحيد.
وغيرها من مصادر الفريقين.